



حينما حدث القصف الكيميائي في خان شيخون، وردت أميركا ترامب بقصف قاعدة الشعيرات التي انطلقت منها الطائرة التي قصفت، تعمّمت الرواية التي تعتبر أن ما حدث مؤامرة من أجل التدخل الأميركي، وأن النظام لم يستخدم الكيميائي أصلًا، على الرغم من أن الروايتين، الروسية والرسمية السورية، كانتا مرتبتين، حيث جرى نفي أن طائرةً قصفت، لا روسية ولا سورية، ثم فبرك الروس رواية أن النظام قصف مخزنًا للأسلحة الكيميائية أنت من العراق، ثم خرج بشار الأسد ليقول إنها تمثيلية من "ذوي القبعات البيضاء".

المنظور العام الذي حكم "اليسار الممانع"، و"القوميين"، و"أذلام النظام"، هو أن أميركا فبركت الحادث لكي تتدخل عسكريًا، وأتت الضربة الصاروخية لكي "تؤكد" هذه النية. يعني أن أميركا كانت تخطّط للتدخل العسكري "ضد النظام السوري"، وأنها افتعلت الحادث، لكي تبرّر تدخلها. وقد امتلأت صفحات الممانعين بالكلام عن المؤامرة، وربما صدّقوا الأمر إلى حدّ جعلهم يغرقون في حالة من الرعب. طبعاً جميلاً أن يعيش هؤلاء حالة رعب.

بعد أسابيع من الحادث، يظهر واضحًا أن أميركا لم تتدخل، وأنها تفاوض الروس، وتريد التفاهم على حلّ سياسي في سورية، وتقبل بدور روسي أساسى، ولم تتوقف المفاوضات بين الطرفين، الأميركي والروسي، بشأن الحلّ. لكن، هل يتذكر هذا "اليسار الممانع"، وهؤلاء "القوميون" ربّهم؛ أو هل توصلوا إلى استنتاج أن تحليلهم كان خاطئًا، وأن أميركا لم تفتعل شيئاً، بل ردّت على إحراجٍ أوقعها فيه النظام ذاته، بعيد أيام من رسالةٍ بعثها ترامب إلى بشار الأسد؛ ومن ثم أن النظام هو الذي استخدم الأسلحة الكيميائية؟

لا أظن أن هؤلاء يتذكّرون ما حدث حينها، ولا ما قالوه أيضًا، فلديهم ذاكرة السمكة التي تلغي ما كان قبل لحظة. وأيضاً هم "عظاماء" لا يخطئون، وبالتالي لم يقعوا في خطأ سابقاً. وكذلك هم ينقون بالنظام، وبأن كل ما يفعله صحيح. لكنهم أوهمنوا أن أميركا ستتدخل، وأنها أصطنعت خبر استخدام الكيميائي من أجل ذلك. لكن أميركا لم تتدخل، ولم تغير سياستها القائمة

على التفاهم مع روسيا، وظهر أن الصواريخ التي أطلقتها هدفت إلى التنبية فقط، وكذلك إزالة الإحراج عن ترامب المتهم بمحالفة روسيا. وبالتالي، لم يكن للتشبيه بوضع العراق معنى، وإن الكذب الأميركي هناك لم يتكرر في سوريا، بالضبط لأن أميركا لا تريد التدخل العسكري المباشر كما فعلت في العراق، وإنها موجودة في سوريا جزءاً مع المساومات مع روسيا، وليس لأنها تريد الاحتلال، بالضبط لأنها "باعت" سوريا لروسيا منذ خمس سنوات.

ليظهر هنا كيف أن إعلام النظام وعملاءه يستخدمون "البعض" الأميركي لاستمرار حشد الممانعين، وأن هؤلاء يتظاهرون من سماع اسم أميركا. لهذا يهبون لدعم النظام، وهو يرتكب كل الجرائم التي يرتكبها. لكن المشكل في هؤلاء الممانعين الذين ينجرفون لـ "الدفاع عن النظام الوطني" فقط لأن "الترويسة" تشير إلى "المؤامرة الأمريكية". هي حالة هوس تجاه أميركا تمنع التدقيق في الأحداث وفهم ما يجري، وبالتالي الانجراف إلى مساراتٍ ليست بعيدة عن أميركا. ربما هوس مرضي ينتاب هؤلاء، ما يجعلهم يغرقون في الأوهام التي توصلهم إلى "خدمة المخطط الإمبريالي".

إذن، لم يتبرّك شيء، لكي تبرّر أميركا الإمبريالية تدخلها، وما حدث هو حقيقة، حيث استخدم النظام غاز السارين ضد السكان في خان شيخون. هكذا ببساطة هو الأمر، بغضّ النظر عن "أفلام" النظام، وأوهام الممانعة. ولأن النظام هو الذي قام بذلك، وأحسّ بأنه ارتكب خطأ في الحساب، لم يعرف كيف يغطي على فعلته. لهذا ظهرت ثلاث روايات على الأقل بما حدث، وهي متناقضة، وتكشف ميل النظام إلى الهروب مما فعل.

أعرف أن اليسار الممانع لا يدقق، ولا يراجع، وهو ينطلق من دعم أعمى للنظام، وبالتالي يقبل أي رواية يقولها، ولا يكترث لانكشاف زيفها، فهو مجرور تحت عباءة أوهامه الأيديولوجية.

العربي الجديد

المصادر: